هوامش

أنعمت نهاية عام 2020 على الجزائريين بمشهد مختلف عما عايشوه من أزمات عام كورونا الطويل، وهو مشهد الثلوج التي تساقطت على كثير من المدن التي ازدانت باللون الأبيض

يتزحلقون في جبال الشريعة (Getty)

مدن بيضاء

موسم الثلوج في الجزائر

الجزائر ـ **فتيحة زماموش**

في غضون أيام قليلة، قبل نهاية عام 2020، تحول عدد من المدن والقرى في الجزائر، بما فيها مناطق صحراوية، إلى مساحات بيضاء بالكامل، فقد تساقطت الثلوج على 19 ولاية، ما دفع السكان للخروج من منازلهم والاستمتاع بالحلّة البيضاء التي أسعدت الأطفال، وجددت معنويات كثيرين، بعد الرتابة والقلق اللذين تسبب بهما الحجر الصحي، المفروض بسبب انتشار فيروس كورونا الجديد. استقطبت الجبال والمناطق المكسوة بالبياض الطبيعي الأسر والأطفال في رحلة التنزّه وصنع الفرحة التي باتت نادرة لديهم، إذ أصبحت جبال الشريعة، في ولاية البليدة، شرقي البلاد، وجهة لسكان مناطق عدة، للاستمتاع بالأجواء والتقاط الصور وتبديل الأجواء السلبية التي فرضها الوباء. وعلى الرغم من البرد القارس، لعب الأطفال لعبتهم الثلجية المفضلة، وهي التراشق بكرات الثلج، بالإضافة إلى صنع رجل الثلج والأشكال والرسوم المختلفة.

قطعت أسرة سوامي عبد الجليل، 75 كيلومتراً، من منطقة، حسين داي، في العاصمة الجزائرية، إلى البليدة. كان الطريق المؤدي إلى جبال الشريعة مكتظة بالسائقين، الذين أخذوا الوجهة نفسها. اختارت الأسرة أن تمضي يوماً كاملاً في التنزه بين جنبات الجبال وأشجار السرو، والاستمتاع ببياض المكان، وصنع رجل الثلج، وهو ما أثلج صدور الأطفال. يقول عبد الجليل وزوجته لـ«العربي الجديد» إنّ حالة القلق والبقاء طويلاً في البيوت بسبب الوباء، دفعتهم إلى اتخاذ قرار بعطلة نهاية الأسبوع، في أعالي الجبل بعدما تساقطت الثلوج بكثافة، وقد أجمعوا على الذهاب في «مغامرة» محمّلين ببعض الأغراض التي تساعدهم في الاستمتاع بالجمال الطبيعي، ومنها ملابس وأحذية شتوية، فضلاً عن وسائل إزاحة الثلوج، كما الاستعداد لتوثيق اللحظات الجميلة بين أحضان الطبيعة الخلابة، بكاميرات الهواتف.

على مسافة تسعة عشر كيلومتراً بينها وبين وسط ولاية البليدة التي أخذت تسمية «عاصمة الورود في الجزائر» تتوقّف الأسر لأخذ قسط من الراحة سواء في الأماكن المخصّصة للزائرين كالمتاجر والمطاعم، أو مواصلة الرحلة إلى أعلى مكان متاح في هذه السلسلة الجبلية التي تقع على ارتفاع 1600 متر عن سطح البحر. ظلّت جبال الشريعة، وجهة عشرات من الأسر، لمنظرها الخلّاب، وحيازتها على سلسلة جبلية تطلّ على خمس ولايات متاخمة للعاصمة، كما تضمّ محمية طبيعية، علاوة على بيوت للتأجير تجذب السائحين والزائرين من المدن الداخلية. يشهد هذا المكان الساحر مجيء كثير من الزائرين، باعتباره وجهة سياحية وطبيعية بامتياز، كما تقول فريدة بودهان، العضوة في جمعية حماية الشريعة البيئية، لـ«العربي الجديد. تلفت إلى أنّ المنطقة تشهد تدفق آلاف من الأسر في فصل الشتاء، لأنّها محمية، وتتوفر على متطلبات الفرجة والنزهة وقضاء عطلة لأيام، حيث تمتد الشريعة على مساحة تفوق 26 الف هكتار، حيث تتوفر على شاليهات خشبية ومقاهٍ ومطاعم ومساحات ومقاعد وطاولات خشبية مرتبطة بالمكان الطبيعي.

هواة الرياضة الجبلية، أو «التزحلق» بلغة المتمردين على قساوة الطبيعة وبرودة الجوّ، حضر منهم عشرات من الأصدقاء في هذه المنطقة الجميلة، للتنزّه جماعياً، وإمضاء الليل في الشريعة، إذ يعدّون وجبات ساخنة على الحطب. يعترف محمد لمين بلخيري، وهو أحد هواة السياحة الجبلية في فصل الشتاء، أنّه يستغل مناسبة تساقط الثلوج في غابات الشريعة للترويح عن النفس واللعب والتزلج والتقاط الصور والتمتع بمناظر في غاية الجمال. هذه المحمية التي تحتوي على ثروات نباتية وحيوانية نادرة، إذ تضم 380 نوعاً من النباتات علاوة على 800 فصيلة من الحيوانات، مكان للراحة والطمأنينة بعيداً عن ضوضاء المدينة وصخب العيش وضغوط الحياة، وهنا بين أشجار الصنوبر والأرز والسرو، لا مكان إلاّ للحلم والتحليق بعيداً مع المخيلة التي تأخذك أينما تريد ومع من تريد.

هكذا، غيّرت الثلوج وجه مدن عدة، وقدمتها في حلّة طبيعية جذابة، ففي جبال تمزقيدة، بولاية ميلة، وجبال ولايتي برج بوعريريج، وسطيف، وجدت الأسر الآتية من مناطق عدة متنفسّها الوحيد، عبر الذهاب في رحلة جبلية وإمضاء وقت ممتع مع نيران الحطب، والمناظر الخلابة في الغابات التي تحولت بين عشية وضحاها إلى صورة بيضاء. وبعيداً عن المتعة، تشهد مناطق عدة موجة برد قاسية وتساقطاً للثلوج يتسبب في عزل قرى في الجبال، خصوصاً في مناطق القبائل الكبرى وسط الجزائر، إذ اضطرت عناصر الجيش الجزائري للتدخل، في الأيام الأخيرة، لفتح الطرقات وفكّ العزلة عن السكان، مثلما حدث في المدية، وجيجل، وسطيف وتيزي وزو شرقي البلاد، علاوة على تسخير عدة شاحنات لنقل المؤن والغذاء إلى سكان الجبال.

باختصار

على الرغم من البرد القارس، لعب الأطفال لعبتهم الثلجية المفضلة، وهي التراشق بكرات الثلج، بالإضافة إلى صنع رجل الثلج والأشكال والرسوم المختلفة

■■■

محمية جبال الشريعة تضم 380 نوعاً من النباتات علاوة على 800 فصيلة من الحيوانات

■■■

بعيداً عن المتعة، تشهد مناطق عدة موجة برد قاسية وتساقطاً للثلوج يتسبب في عزل قرى في الجبال، خصوصاً في مناطق القبائل الكبرى وسط الجزائر

وأخيراً

الورقة الأخيرة من تقويم مكرّر

سعدية مفرح

لولا أن أعظم خسائري في العام الذي يغادر اليوم كان أخي الذي فقدته منتصف العام، لأشعر بعدها بأن لا شيء يستحق المضي في الحياة، لقلت إن هذا العام، على الرغم من ظروف جائحة كورونا، وربما بسببها كان أحد أعوامي الجميلة. لقد وجدتُ نفسي التي ضاعت طويلاً في لهاث الأيام المتشابهة والمكتنزة بمهمات عمل وكتابة وقراءة لا تنتهي أبداً. لكنها تحت ظلال الجائحة الكونية، عادت إليّ محملة بأسئلة جديدة وجميلة عن معنى السعادة التي يحاول المرء العثور عليها منذ أن يبلغ الوعي وحتى النهاية، فينجح ويفشل، ويراوح بين هذا وذلك، بلا وعي منه أحياناً، يعيش السعادة ولا يعرف أنه سعيد إلا بعد أن يغادرها، فيمضي مجدّداً لاستعادة ما مضى من دون جدوى. كان الوقت متسعاً أمامي للتأمل والتفكير، في الفراغ الكبير الذي أتاحته ظروف جائحة كورونا، بعد أن أوقفت الحياة في شرايين معظم الأعمال حول العالم، وأغلقت المطارات والموانئ والمنافذ والطرق إلا قليلاً، ووفّرت العذر الحقيقي القاهر والمقبول من الآخرين أمامي للتخلص من معظم الواجبات الاجتماعية التي تتطلّب تحركاً خارج المكان، واستغراقاً في الزمان.

لم أكن ممن وجدوا في القراءة والكتابة ضالتهم في أثناء ذلك الفراغ الكبير، فقد كان معدل قراءاتي وكتاباتي في رقمه المعتاد إن لم يكن أقل. وبالتالي، تركت الحيز الأكبر من الوقت للانكفاء إلى الداخل والتفتيش في الزوايا المنسيّة عن ذاتٍ عائدةٍ لتستريح بعد طول لهاث. كانت عودة مظفرة فعلاً، فبسكونها وحده كان الإنجاز الحقيقي لامرأةٍ كانت طوال عقود لا تكاد تنام، لفرط العمل والانغماس في ما وراءه. وها هو السكون الجميل في ما أنتجه من اكتشافاتٍ مذهلةٍ على صعيد العلاقات الشخصية وإعادة تكوينها وموضعتها في مراتب الحب والحاجة والاعتياد والاستغناء المؤقت أو التام.

لقد اكتشفت، مثلاً، أن ترتيب أولوياتي لم يكن مثالياً، فكان لا بد من إعادة الترتيب وفق الظروف الجديدة اضطرارياً، ومع نهايات تلك الظروف التي تلوح بوادرها في الأفق، بل وحتى قبلها، أصبح الترتيب الجديد للأولويات هو المثالي، لا للمرحلة وحسب، بل ربما للحياة كلها، فلا شيء يمكن لي أن أعود إلى اللهاث وراءه، كما كنت أفعل. ولا علاقة إنسانية يمكنني أن أشعر بالانسحاق أمام الرضوخ لمتطلبات استمراريتها، أو اتخاذ ما يشل روحي من إجراءات، كي لا تموت. فلتمت كل علاقة مرهقة للروح، وليختف كل الذين لا يمكن أن يكونوا بهجة لها!

عندما رحل أخي الذي كان بمثابة أبي، من دون أن يكون مريضاً ولا مسنّاً، بل ذهب إلى موته هادئاً رضياً بين أفراد أسرته جميعهم في لحظاتٍ تحيطها أحاديث الذكريات الجميلة والآمال الأجمل، كان الأمر، في البداية، أثقل من قدرتي على التفكير بأي شيء، إذ فقدت، لأيام، قدرتي على الرضا والتسليم النهائي بالقدر، كما هو مقرّر في أبجديات إيماني العتيق، وكان التساؤل الملحّ الذي أعادني إلى ما بدأ الفراغ يوفره لي من سكينة يقول: كيف يمكن الموت، إذاً، أن يكون هو المعادل الموضوعي للحظة أمل معلقة على سبيل الحياة؟

> الحياة مستمرّة كما كانت أمس، وكما ستكون غداً بإذن الله، حيث سنفتتح تقويماً جديداً بانتظار غبي لورقته الأخيرة

اليوم، الأخير من عام 2020. إذاً، لم يعد يعني بالنسبة إليّ سوى يوم آخر يمضي، لا يهم تاريخه المميز سوى بورقة التقويم السنوي التي ستكون الورقة الأخيرة في التقويم، لكن الحياة مستمرّة كما كانت أمس، وكما ستكون غداً بإذن الله، حيث سنفتتح تقويماً جديداً بانتظار غبي لورقته الأخيرة. لكن لا شيء يمكن أن يوقف النهر العظيم فيها من الجريان، حتى لو تغيّرت مصائر كل الناس حوله أو في خضمّه.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50** ◻ Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**